Route Educational and Social Science Journal ISSN: 2148-5518
Volume 5(3), February 2018

الدين ودور مؤسساته في التكيّف الاجتماعي للاجئين السوريين بتركيا

د. كريمة بومعاز*

لقد أضحت قضية اللجوء والنزوح من أعوص المشكلات التي باتت تؤرق بال المجتمع الدولي، خصوصا مع تزايد الحروب والنكبات. وفكرة هذا العرض تنصب على أزمة اللاجئين السوريين باعتبارهم الضحية الكبرى للعدوان الغاشم الذي مارس أبشع أنواع السادية في حق المدنيين العزل والنساء والأطفال في ضرب سافر لحقوق الإنسان. وسأحاول التركيز على أهمية الدين ودور مؤسساته في التخفيف من أزمة اللاجئين السوريين، وكيف يمكن لهذا المدخل أن يسهم في تسهيل عملية الاندماج والتكيف الاجتماعي في ضوء ما انطوت عليه تعاليم الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، وفي ظل الرهانات الحالية والمستقبلية. وذلك من خلال خطة البحث التالية:

مقدمة

المطلب الأول: الواقع الديني للسوريين والتركيين والمشترك الإنساني

المطلب الثاني: خصوصيات الدين الإسلامي عقيدة وشريعة في حل مشكلة التكيف الاجتماعي للاجئ

المطلب الثالث: حلول عملية لتفعيل دور المؤسسات الدينية في حل مشكلة التكيف الاجتماعي

خاتمة وأهم التوصيات.

---

*– **الدكتورة: كريمة بومعاز**: أستاذة حاصلة على دكتوراه في العقيدة والفكر من كلية أصول الدين بتطوان، جامعة القرويين، ومدربة معتمدة في التنمية البشرية والكوتشينج، لها مقالات ومشاركات في مؤتمرات وطنية ودولية محكمة.

الدين ودور مؤسساته في التكيف الاجتماعي للاجئين السوريين بتركيا

في ظل تزايد عدد اللاجئين السوريين في تركيا، فإن الحديث عن عملية التكيف الاجتماعي أصبحت من الأهمية بمكان، إذ تطرح كثيرا من التساؤلات عن قدرة اللاجئ السوري على الاندماج بالمجتمع التركي الذي يمتاز بخصوصيات ثقافية ودينية وسياسية واجتماعية تستدعي من اللاجئ مراعاتها، في مقابل ما يجب على الدولة المحتضنة توفيره من رعاية أمنية ونفسية واجتماعية واقتصادية، الأمر الذي ليس بالهين إدارته خصوصا مع طول مدة الأزمة وارتفاع عدد اللاجئين، إذ أضحت الضيافة عبئا على تركيا التي يشهد لها العالم مواقفها البطولية في احتواء أزمة اللاجئين رغم تقاعس العديد من البلدان عن مد يد العون لهم.

ولعل أهم المداخل التي قد تسهل عملية التكيف الاجتماعي وتسريع الاندماج، هو المدخل الديني، إذ إن الدين الإسلامي الذي يعتنقه أغلب سكان البلدين كفيل بضمد الجراح وتعزيز ثقافة الانفتاح لما يتميز به من عقيدة ثابتة في إدارة الأزمات، وشريعة مرنة في التعامل مع قضايا العصر ومستجداته. فما هو الواقع الديني لكل من تركيا واللاجئين السورين؟ وكيف يمكن اهتبال المشترك الديني في تسهيل عملية التكيف عقيدة وشريعة؟ وما هو دور المؤسسات الدينية في هذه العملية واقعا واستشرافا؟

المطلب الأول: الواقع الديني للسوريين والتركيين والمشترك الإنساني

لا يستطيع الإنسان أن يغالب فطرة فطره الله عليها، وإن قاومها وجحدها بلسان المقال والأفعال، والدين نزعة فطرية في النفوس؛ قال تعالى﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1] بل إن من أنكر هذه الفطرة تجده في وقت الشدة والكرب دون تفكير متضرعا إلى الله تعالى. قال تعالى﴿**وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً**﴾[2] لذلك فرغم السياسة العلمانية التي انتهجتها الدولة التركية منذ تأسيسها سنة 1923، والتي حاولت التضييق على

[1] –الروم:30

[2] – الإسراء:67

الدين الإسلامي إلى خنقه من خلال إغلاق التكايا والزوايا، وحظر الطرق الصوفية، وإلغاء المحاكم الشرعية، ومنع الحجاب، وإغلاق أي مدرسة تدرس الدين...وغير ذلك مما يعد من مظاهر الدين الإسلامي، فإن هذا الأخير ظل متغلغلا في صدور أغلب الشعب التركي. وسرعان ما استجاب الكثير ممن غُرِّب إلى نداء الفطرة بعدما انقشع الظلام، يقول الدكتور أحمد نوري«الإسلام كان ولقرون طويلة وما يزال جزءا لا يتجزأ من التكوين الطبيعي والنفسي لتركيا، حيث الأشعار متأثرة بالإسلام ومطبوعة به، والعادات والأقاليم والأرياف بقيت إسلامية صحيحة»[3] ولا شك في ذلك فنحن –في أقصى بلاد المغرب– ترعرعنا على الاعتزاز بأهم حضارة عرفتها الأمة الإسلامية وهي الإمبراطورية العثمانية، ولا يمكن أن تندثر هذه الحضارة في نفوس شعبها بسهولة، لأنها جذور تاريخية ثابتة عميقة يعسر اقتلاعها، فهي هوية كل مواطن تركي، وفخر كل مسلم، ورمز للتعايش مع مختلف الملل. ويضيف الدكتور نوري راصدا الواقع الحالي:«وقد أصبح الآن من المسلم به في تركيا أن العلمانية لم تعد من المسائل الجدلية التي فيها أخذ ورد، غير أن الجدل استمر حول العديد من الأمور التي لها علاقة بالإسلام، وقد اشتملت الإجراءات الهادفة إلى رفع مستوى الموظفين الدينيين على إقامة بعض المدارس لتدريب الأئمة والواعظين، وتأسيس كلية جديدة باسم " كلية الإلهيات" في جامعة إسطنبول، والهدف منها أن تكون المركز بشكل عصري وعلمي وجديد للتعليم الديني، وأن تكون أكثر ملائمة لجمهورية علمانية غربية الطراز»[4]

أضحى الاهتمام متزايدا بتعليم وتعلم الدين الإسلامي في العقود الأخيرة، فانتشرت المدارس القرآنية لتحفيظ القرآن وعلومه، وتعلم اللغة العربية، وتضاعف عدد ثانويات الأئمة والخطباء في كثير من المدن التركية، وأسست سنة2012م كلية العلوم الإسلامية بجامعة السلطان محمد الفاتح بإسطنبول. ومن مظاهر الصحوة الإسلامية أنه «بين عامي 2002 و2013 تم بناء 17000 مسجد في أنحاء تركيا وترميم عشرات الآلاف من الحقبة العثمانية. ورفع حظر ارتداء النساء للحجاب في المؤسسات والمكاتب الحكومية والمدارس والجامعات.»[5] وحسب الإحصاءات الأخيرة،«هناك 90 في المائة من السكان يعتنقون الطائفة السنية، أما السكان الذين يعتنقون الطائفة الشيعية يقدر عددهم 10في المائة من إجمالي

[3] –الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، حاضرها ومستقبلها، للدكتور أحمد نوري النعيمي، دار البشير، الأردن، سنة 1992(ص6)

[4] – الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا(ص7–8)

[5] – مقال للدكتور إبراهيم حمامي بعنوان: تركيا والهوية الإسلامية.موقع ترك بريس:http://www.turkpress.co/node/29821

السكان، وهناك حوالي 0.04 في المائة من اليهود، ويقدر عددهم23000، وأغلب اليهود التركيين هاجروا إلى إسرائيل.»[6]

أما بالنسبة لسوريا، فلا تقل عراقة وأصالة عن الدولة التركية فهي من الدول السباقة إلى الإسلام، عاصمة المسلمين في العهد الأموي، ومنجبة أشهر علماء الإسلام، وعنوان السمو الحضاري بين مختلف الطوائف والنحل. ظلت أربعة قرون تحت حكم الإمبراطورية العثمانية إلى أن تم الانسحاب منها في أعقاب الثورة العربية الكبرى والحرب العالمية الأولى في أكتوبر 1918. فهي إلى عهد قريب كانت منضوية تحتها، تتقاسم الإرث نفسه. بل ظلت لفترات طويلة ملاذا آمنا للاجئين الفارين من اضطهاد سياسي أو غير ذلك، آخرها استقبالها مئات الآلاف من الفلسطينيين واللبنانيين أيام الحرب الأهلية، والعراقيين بعد الغزو الأمريكي الغاشم.

وحسب الإحصاءات المعاصرة فإن «حوالي 90 في المائة من المسلمين، و10 في المائة المسيحيين، بين المسلمين74في المائة هم من السنة. وتنقسم البقية بين المذاهب الإسلامية، ولاسيما العلويين(تمثل10 في المائة من مجموع السكان) والدروز6 في المائة، ولكن أيضا على عدد صغير من الإسماعيلية غير الدروز والشيعة...وابتداء من2006 هناك ما يزيد عن مئة يهودي تركوا في سوريا»[7] هذا التعايش الثقافي والفكري جعل سوريا في مصاف الدول التي تُشَدُّ إليها الرحال. لكن للأسف فإن الأزمة أسفرت عن بروز تيارات تعادي بعضها بعضا عادت بظلامها الدامس إلى عصور العصبية والجاهلية، وامتطت داعش صهوة أتونها، وتدخلت أطراف في تعقيد الأزمة. فخلف ما لا يخفى على القاصي قبل الداني من دمار شامل لمدن بالكامل، وما نتج عن ذلك من قتلى وجرحى وأرامل ويتامى بالملايين. منهم من حالفه الحظ باللجوء إلى دولة أخرى، ومنهم ما زال يكتوي بنيران الصواريخ ويرتعش من صوت القذائف تحت مرأى ومسمع العالم. وإلى الله المشتكى.

وبحكم القرب الجغرافي، والمشترك التاريخي والديني والإنساني، فإن تركيا شكلت على العموم أكبر ملاذ للاجئين السوريين منذ اندلاع الأزمة إلى غاية اليوم، دون تفريق ديني ولا مذهبي ولا عرقي ولا جغرافي كما هي رسالة الإسلام العالمية في بعدها الإنساني باعتبارها رحمة للعالمين.

[6] – مقال بعنوان "عدد المسلمين في تركيا" في المجلة الإلكترونية "موضوع"

[7] – مقال بعنوان " الديانات في سوريا "في ComeToSyria 2017.06.30

المطلب الثاني: خصوصيات الدين الإسلامي عقيدة وشريعة في حل مشكلة التكيف الاجتماعي للاجئ

تعد العقيدة الإسلامية صمام الأمان النفسي والاجتماعي للأفراد والجماعات، وبر الأمن الدنيوي والأخروي. قال تعالى﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[8] ومن بركات هذه العقيدة أنها تغذي الوجدان، وتمنحه الراحة والطمأنينة، والحياة الطيبة. قال تعالى﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[9] فهي تربط المخلوق بالخالق، ليقر بعظمته، ونعمه التي أسبغها عليه، فيستحضر مراقبته في السر والعلن؛ لأنه يؤمن أن هناك ملائكة تكتب حسناته وسيئاته، وأخرى تحفظه من أمر الله﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[10]. ويعلم أن من اتبع هدى الأنبياء فائز بالدارين قال تعالى:﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾[11] فيحرص على العمل الصالح، ويجتنب ما نهاه الله عنه؛ لأنه يؤمن بيوم ستعرض عليه حسناته وسيئاته،﴿**فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ**﴾[12]

ومن ثمرات الإيمان أيضا اليقين بأن الله يدفع عن المؤمنين جميع المكاره، ويحفظهم من مكر الأعداء، قال تعالى﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[13] فتطمئن نفوسهم بأن الظلم ماحق، وأن دعوة المظلوم مستجابة. قال تعالى﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ**﴾[14] فما يقع لهم من خير أو شر هو محض ابتلاء، جعله الله تعالى سنة كونية؛ قال

[8] – الأنعام:82
[9] – النحل: 97
[10] – الرعد:11
[11] – طه:123-124
[12] - القارعة:6-7
[13] – الحج:38
[14] – إبراهيم:42

تعالى:﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾[15] وقال تعالى﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾[16] فمن صبر واحتسب اجتاز الامتحان بتفوق، قال تعالى:﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾[17] هذه العقيدة إذا رسخت عند الإنسان أكسبته قوة ورباطة جأش تجاه المحن والمصائب والهموم والغموم، خاصة إذا فقد الأمن في بلده، وابتلي بفقد أهله وولده، وماله ومجده. وهذا حال إخواننا السوريين الذين تعرضوا إلى أبشع جرائم التاريخ، وأعتى أنواع الاضطهاد والتعذيب والتهجير. ورغم هذا الابتلاء تجدهم صابرين محتسبين مؤمنين بقضاء الله وقدره؛ يعلمون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**عجبا لأمر المؤمن. إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له.**»[18] فالمؤمن في جميع الأحوال فائز بالخيرية، مأجور في السراء والضراء. قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾[19] «أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته في الدنيا هُدًى في قلبه، ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرا منه»[20] ومن حكمته تعالى أن جعل الدعاء بابا من أبواب رد القضاء. قال صلى الله عليه وسلم:«**لا يرد القضاء إلا الدعاء**»[21] يقول الإمام الغزالي:«فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة، كما أن الترس سبب لرد السهم، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم

[15] – الأنبياء:35

[16] – العنكبوت:2-3

[17] – البقرة:155

[18] – رواه مسلم في الصحيح: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير(رقم2999، 2295/4) والطبراني في المعجم الأوسط (153/4)

[19] – الحديد: 11

[20] – تفسير ابن كثير(137/8)

[21] – أخرجه الترمذي في الجامع: : أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الله:(رقم2139، 16/4) وقال عنه: حديث حسن غريب من حديث سلمان. والطبراني في المعجم الكبير(251/6)

فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان.»[22] وقد أظهرت دراسات كثيرة على أن المؤمنين بالقضاء والقدر هم أقل الناس قلقا واكتئابا وأكثرهم رضا، وأقربهم تماثلا للشفاء، وأكثرهم حسن ظن بالله تعالى؛ ففي الحديث القدسي:«**أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء**»[23] فلو فهم العبد هذا الحديث حق فهمه، لانشرحت نفسه وتخلص من كل همه لأن هناك مدبر حكيم، وعد أن مع العسر يسرا، ودعاك لاختيار أحسن المقادير بسعيك لا إلقاء اللوم على الظروف، أو الانحراف عن الطريق السوي. قال القاضي ابن العربي:« لا تطلب الفوائد في أمر الله وحكمه على مقتضى أغراض البشر، وإنما فوائد أمر الله وجودها على مقتضى المشيئة. ولم يطلعنا على ما يناسب مفهومنا في أنفسنا، لأنه ليس كمثله شيء في ذات ولا صفات ولا فعل.»[24]

إن من محاسن هذا الدين أيضا، شريعته السمحة التي راعت الجانب الاجتماعي في مقاصدها، فالصلاة إن كانت اتصالا روحيا بينك وبين خالقك، فقد جعل الله فضل صلاتها جماعة تفضل صلاة الفذ سبعة وعشرين مرة، حرصا على تقوية روح الجماعة، وارتباطها بوشائج الصلة بين أفرادها. وجعل الحج موسما دوليا لتعارف الأمة والتقائها على أمر واحد هو عبادة الله تعالى وتوحيده. وجعل من مقاصد الصيام أن يحس الغني بالفقير، وعدّ الزكاة نوعا من العدالة الاجتماعية في توزيع الأموال؛ لتأمين الحاجات الدائمة والطارئة، قال تعالى﴿**كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**﴾[25] وشجع على الصدقات التطوعية والوقف، وجعل الكفارات بابا من أبواب الإنفاق تشجيعا لروح التكافل والتضامن الاجتماعي. تحقيقا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم« **مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم، مَثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تَدَاعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى**»[26]

---

[22] – إحياء علوم الدين(329/1)

[23] – أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب، باب قول الله تعالى﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾[آل عمران: 30](رقم9،7405/121) ومسلم في الصحيح: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى(رقم2675، 2061/4)

[24] – عارضة الأحوذي(300/8)

[25] – الحشر:7

[26] – أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الأداب، باب رحمة الناس والبهائم (رقم8،6011/10)ومسلم في الصحيح: كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم(رقم4،2586/1999)

ولعل الاهتمام باللاجئ يعد من أعظم الشيم وأرقاها في الإسلام، وكلمة لاجئ يقابلها في القرآن "مستجير"، قال تعالى ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[27] أي الذي يطلب الأمان من اضطهاد أو ظلم يهدده، وكذلك كلمة "الإيواء"قال تعالى:﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ**﴾[28] وقال تعالى﴿ **إِذْ آوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ**﴾[29] وأحيانا تأتي كلمة الهجرة بمعنى الخروج الاضطراري هربا أو خوفا من اضطهاد أو ضرر قال تعالى﴿**وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾[30]

وقد وضع لنا القرآن دستورا للتعامل مع اللاجئين، خاصة من المسلمين من خلال قصة المهاجرين والأنصار، قال تعالى:﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[31] وهو المبدأ الذي سارت عليه تركيا. يقول السيد غورميز- رئيس الشؤون الدينية التركي-: «إن تركيا تتعامل مع اللاجئين السوريين الذين أرغموا على مغادرة بلدانهم وفقا لمبدأ الأنصار والمهاجرين»[32] وهذا القانون القرآني يقوم على الركائز التالية:

- ✓ التركيز على البعد النفسي في استقبال اللاجئين؛ وأشار القرآن إلى لفظ المحبة، لأنه قد يستقبل اللاجئ على مضض وتسليم للواقع، مما يجعل هذا الأخير يحس بغربة أكثر، فخاطب القرآن الجانب النفسي للاجئ حتى يحس بالاطمئنان والراحة. كما يتجلى هذا البعد أيضا في تمهيد البلد المضيف- المدينة المنورة- أن يكون من عقيدة المضاف؛ لأن هذه الرابطة من شأنها أن تمتص مخاوف اللاجئ فيحس بأنه آمن مع من تربطه معهم أخوة الدين. واثق من سلامة صدورهم من أي إحن أو أحقاد أو تمييز. وهذا المبدأ لا يلغي من ضرورة منح اللجوء لكل من يطلبه بغض النظر عن دينه، فالآية

[27] - التوبة:6
[28] - الأنفال :26
[29] - الكهف:10
[30] - النساء:100
[31] - الحشر:9
[32] - موقع تركيا بوست:http://www.turkey-post.net/p-206933 /

السابقة أمر الله تعالى فيها بإعطاء المشرك الأمان إذا طلبه، فيصبح مكفول الحقوق. ولنا في رسول الله الإسوة الحسنة حين أجارت أم هانئ رجلا مشركا، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم:«**قد أجرنا من أجرت**»[33]، وأعطى النجاشي وهو ملك مسيحي الأمان لمن هاجر إليه من المسلمين، ولم يسلمهم إلى وفد قريش.

- ✓ البر بهم والإيثار نحوهم مهما كانت الظروف، فالخصاصة لم تمنع الأنصار من مد يد العون إلى المهاجرين. وهذا تشجيع على التكافل الاقتصادي والاجتماعي. وإغاثة اللهفان ونجدة المحتاج من فطرة النفس الإنسانية السليمة، تباهت بها العرب في أشعارها، وشجعها الإسلام دون أن يفرق بين مسلم وغير مسلم، قال تعالى﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً**﴾[34]
- ✓ إعطاء الأمان بمثابة عقد بين المتعاقدين، لا يجوز الإخلال ببنوده من كلا الطرفين، فالمستجار به يُمْنَعُ من تسليم اللاجئ إلى عدوه، أو النظام الحاكم الذي فر من بطشه، أو معاملته بشكل غير لائق، أو إكراهه على تغيير دينه حتى يبلغ مأمنه. والمستجير يلزمه احترام نظام البلد المجير وأعرافه. وللبلد المستضيف الحق في تأمين حدوده وفرض رقابة شديدة تجاه كل من قد يشكل خطرا على أمنه.
- ✓ ربط حسن إيواء وكفالة اللاجئ وتأمينه من كل تهديد بالإيمان الحق تشجيعا على هذه المبادرات الإنسانية، وبيانا لعظمة هذا الدين. فقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وتقاسم الأنصار الأموال معهم إشعارا بمبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الطرفين باعتبار الكل مجتمعا واحدا.
- ✓ تمتع اللاجئين بحقوقهم المدنية، كالحق في التعليم، وقد سن الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حين جاءه وفد عبد القيس «أمر بكل رجل منهم رجلا من المسلمين ينزله عنده، ويقرئه ويعلمه الصلاة.»[35] وكالحق في الإنصاف من القضاء في حال تعرضه لاعتداء على نفسه أو ماله أو عرضه...

---

[33] –أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفا به(رقم357، 80/1)

[34] -سورة الإنسان: الآية 8

[35] – كنز العمال، كتاب الحدود، (532/5)

✓ تحقق ولاية بعضهم البعض مصداقا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾[36]

المطلب الثالث: حلول عملية لتفعيل دور المؤسسات الدينية في حل مشكلة التكيف الاجتماعي

لقد حرص المسلمون منذ فجر الإسلام على توفير مراكز إسلامية لتعليم الدين وتبليغ الدعوة وضمان الألفة والتعاون فيما بينهم، فاختار النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم كمحضن أول لتنشئة الرعيل السباق الذي سيحمل على عاتقه المسؤولية الكبرى في نشر الإسلام وحفظ أواصره. وفي ذلك أبلغ إشارة إلى أهمية المؤسسات الدينية التي تعددت أنواعها واختلفت أشكالها وتوسعت أهدافها لخدمة المقصود الأعظم وهو عبادة الله تعالى وعمارة الأرض. ومن هذه المؤسسات نجد:

أ- المسجد:

بيت لله، وأول مؤسسة بناها النبي صلى الله عليه وسلم حينما وطئت أقدامه الشريفة أعتاب المدينة المنورة، حرصا منه على وحدة وتآلف المسلمين روحيا واجتماعيا، وقد كان للمسجد وما يزال أدوار كثيرة فضلا عن الصلاة والعبادة، فهو أول مدرسة انبثقت منها التعاليم المحمدية. وتعد خطب الجمعة فرصة للتذكير بحقوق اللاجئ في الإسلام، واستمالة الجموع نحو تمثل قيم الرحمة والإحسان والتكافل والتعايش، وترك التمييز أو الاستعلاء على الآخر. وذلك من خلال استحضار معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والسلف الصالح لهذه الفئة المضطهدة. وكمثال على ذلك ما أشار إليه الأئمة الأتراك في إحدى الخطبات الموحدة في كافة المساجد بتركيا بقولهم:" الشعب التركي يعد أنصارا لمهاجرين على مر العصور اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام، ففتح أبواب قلبه للاجئين دون تمييز من حيث الدين واللسان والعرق، ووقف بجانب المظلوم واليتامى والمساكين أينما كانوا."[37] كما حذروا

[36] - الأنفال:72

[37] - مجلة ترك برس الإلكترونية.www.turkpress.co/node/36579

الشعب التركي من" الادعاءات الباطلة التي تطال اللاجئين والتي تعمل على إثارة مشاعر الحقد والكراهية، وإفساد وحدة الشعب وأمنه."[38]

من جهة أخرى يعد المسجد مؤسسة تضامنية مع الفقراء والمعوزين وعابري السبيل؛ إذ تعتبر صناديق الزكاة والصدقات موردا مهما للتخفيف من أزمة اللاجئين السوريين، فهم أحوج إلى ذلك؛ لأنه ينطبق عليهم وصف عابري السبيل، وحالتهم المادية أبين من أن توصف، تركوا أوطانهم وأموالهم وأصبحوا عرضة للتشرد. وإسهاما في اقتصاد الدولة، يستحسن خلق فرص عمل من خلال استثمار أموال الزكوات والصدقات والنذور والكفارات وسائر التطوعات في مشاريع صغيرة تضمن العيش الكريم لهذه الفئة بما يصون لهم ماء وجوههم عن التشرد والتسول. كما يمكن استثمار هذه الأموال في بناء دور الأيتام وإعالة الأرامل وذوي الاحتياجات الخاصة والشيوخ الكبار في السن. يقول لاوند أوجقان إمام وخطيب مسجد "حسن باشا" التاريخي في منطقة "قاضي كوي" في إسطنبول –والذي برهن بتجربته في تحويل المسجد إلى مركز للأنشطة الاجتماعية والتعليمية والتوعوية–:«يوجد في تركيا أكثر من 87 ألف مسجد. إذا جعلنا هذه الأماكن مخصصة فقط للمصلين وإقامة الصلوات الخمس، فلن نستطيع الحصول على إنتاجية أكبر تنعكس بشكل إيجابي على المجتمع. إننا بحاجة إلى تحويل المساجد إلى مراكز للنشاط الاجتماعي وجعلها فعالة أكثر بين أبناء المجتمع. المساجد ليست أماكن للعبادة وحسب، بل هي مؤسسات علم وعمل.»[39] وما أحوج تركيا اليوم إلى توسيع هذه المبادرات لاحتواء أزمة اللاجئ السوري.

ب– هيئة الشؤون الدينية التركية:

لقد بذلت هذه المؤسسة جهودا كبيرة في خدمة اللاجئين السوريين منذ بداية معاناتهم. يقول رئيسها غورماز:«نرغب في الاستفادة من الإمكانات العلمية والخبرات المتوفرة لدى إخوتنا السوريين، لذا قمنا بتوظيف العديد منهم في دور الإفتاء وفي الجامعات المختلفة»[40] وهذه الفكرة من الأهمية بمكان، وتشجيعها يضمن للمؤسسات الدينية استثمار جهود الكفاءات العلمية الوافدة على البلاد في تعليم أبناء تركيا أمور دينهم، وتشجيع البحث العلمي. ويكفل للطرف الآخر الكرامة والعيش الكريم.

---

[38] - المصدر السابق

[39] - موقع Daily Sabah تركيا. مقال بتاريخ2017/07/26

[40] – موقع تركيا بوست:http://www.turkey-post.net/p-206933 /

كما أن دور الإفتاء لها دور كبير في إقناع المسلمين بالضرورة الاستعجالية للتبرع بالزكوات والصدقات لفائدة اللاجئين باعتبارهم أولى بالاستحقاق من غيرهم.

ت- وقف الديانة التركي:

وهي مؤسسة دينية أنشئت سنة1975 بهدف دعم نشاطات رئاسة الشؤون الدينية التركية، وتمتلك نحو ألف فرع في تركيا. وقد امتدت أعمالها(توزيع مساعدات غذائية، بناء المساجد، توزيع المصاحف، تعليم الدين...) لتشمل دولا أخرى. ولهذه المؤسسة اليد البيضاء في مساعدة اللاجئين السوريين منذ نشوب الأزمة.

ث- الجامعات الإسلامية

لا يمكن إغفال الدور الريادي الذي تقوم به الجامعة الإسلامية في تنوير عقول الأمة وبناء المجتمع بتخريج كوادر علمية تأخذ على عاتقها تنمية الثقافة الإسلامية وتجديد تراثها، وحفظ الفكر الإسلامي من كل دخيل شاذ كالفكر الإرهابي. ويمكن اهتبال هذه القناة كما سبق أن أشرت في تشغيل أساتذة جامعيين من اللاجئين السوريين نظرا لقوة مؤهلاتهم العلمية التي تلقوها في بلدهم سوريا قبل المحنة. مع السماح للطلبة السوريين بإكمال مشوارهم الدراسي وخلق تحفيزات لهم خاصة مع بروز ظاهرة التسرب والهدر نتيجة الظروف المضطربة التي يمر بها الطالب السوري المهجر.

ج- الجمعيات الخيرية

تعد هذه الجمعيات القلب النابض للحياة بفعل المجهودات التطوعية التي تقوم بها، قال صلى الله عليه وسلم: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**»[41] ومن بين هذه الجمعيات: جمعية أيادي الخير، جمعية التضامن مع طالبي اللجوء والمهاجرين، جمعية الصداقة السورية التركية، الجمعية السورية للإغاثة الإنسانية والتنمية في إسطنبول، جمعية إكرام لرعاية أسر الشهداء والجرحى وغيرها من الجمعيات التي تعمل جاهدة للتخفيف من أزمة

[41] - أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، (رقم2442، 128/3) وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم(رقم2580، 1996/4)

اللاجئ السوري من خلال إمدادهم بالمواد الغذائية، الملابس، وأغطية للتدفئة، وتقديم الخدمات الصحية، وتوزيع الكتب والأدوات المدرسية...

ومن أجل الرفع من جهود هذه المؤسسات، ينبغي :

- ✓ إطلاق حملات جمع التبرعات، من خلال استغلال وسائل الإعلام الحديثة، وإشراك أفراد المجتمع المدني والنخب المشهورة للترويج لها. وهنا أستحضر مبادرة " أنا بحاجة إليك" التي نظمها عدد من المنظمات الإنسانية العاملة بتركيا سنة2014، والتي أشركت فرقا رياضية للتحسيس بوضعية اللاجئ ومعاناته. فيمكن اهتبال الأنشطة الثقافية والفنية من أجل جمع التبرعات.
- ✓ توسيع نطاق هذه الحملات خارجيا لتحفيز البلدان الغنية في المساهمة بتقديم المعونات، والتشجيع على إقامة شراكات واتفاقات تعاونية لتيسير هذه العملية.
- ✓ توفير قيّمين دينين يراقبون العملية التعليمة للتلاميذ السوريين تفاديا لفرض رؤى سياسية لتيارات محددة أو هيمنة مرجعيات معينة، فالتركيز على عبودية الله تعالى وغرس القيم الإسلامية النبيلة لابد أن يكون من أولى الأولويات في المنهاج الدراسي نبذا لأي شكل من أشكال التعصب، وتعزيزا للسلوكات المدنية والمهارات الحياتية.كما يجب توفير الدعم المدرسي وتوزيع منح على الطلبة والباحثين منهم. وتخصيص دورات مجانية لتعليم اللغة التركية، ويمكن الاستفادة بالمقابل من اللاجئين السوريين المتعلمين لتدريس اللغة العربية للأتراك، وتحفيظهم القرآن.
- ✓ إنشاء مراكز للتأهيل والدعم النفسي وتنمية الفرد تنمية إسلامية متوازنة متشبعة بالوسطية والانفتاح على الآخر وقبوله بعيدا عن التطرف والغلو؛ تقدم فيها حصصا دراسية لتعلم أمور الدين، واكتساب القيم الإسلامية. مع اعتماد تقنية التثقيف بالنظير لأهميتها في ترسيخ القيم والمعارف.
- ✓ تنظيم مؤتمرات وندوات للتحسيس بمشكلة اللاجئ، وإشراك هذا الأخير بدوره في التفكير في حلول جدية للخروج من أزمته، مع استغلال وسائل الاتصال الحديثة في نقل معاناتهم وإسماع صوتهم للعالم.
- ✓ تأسيس لجان مكونة من العلماء الراسخين في الدين من السوريين والتركيين تهتم بفقه اللاجئ، وتعد مرجعا يعود إليه في أموره الحياتية العامة والأمور المستجدة.كما تعمل على التوعية بأهمية توثيق الزيجات التي تقع في مخيمات اللاجئين السوريين ضمانا لحقوق المرأة والأبناء، وتنادي بتيسير الإجراءات القانونية

التركية لهذه العملية. والتحذير من الزواج العرفي الذي يتنافى مع جوهر دين الإسلام، أو زواج القاصرات الذي يزيد معاناة المرأة السورية بلة. مع ضرورة احترام قوانين البلد المستضيف.

- ✓ خلق جمعيات تعنى بمراقبة أوضاع الأطفال السوريين وتوعيتهم ضد مخاطر الانحراف، وتحميهم من أي استغلال، وتنوب عنهم في الدفاع عنهم قضائيا ضد كل أنواع الاستغلال والامتهان.
- ✓ التشجيع على كفالة اليتيم باستحضار قوله صلى الله عليه وسلم«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وأشار بالسبابة والوسطى»[42] وبحمد الله هناك الكثير من الجمعيات والدور تعمل على ذلك في تركيا لكنها تحتاج لدعم أكبر من حيث الموارد المالية والبشرية.
- ✓ إشراك المرأة السورية في الحياة العملية من خلال توظيف مؤهلاتها العلمية في القطاع المناسب. وتعليم الحرف اليدوية لأخريات واستثمار جهودهن في إطار تعاونيات، ومدهن بقروض صغيرة لتمويل مشاريع كتربية النحل لإنتاج العسل، أو استخراج زيوت نباتية، أو نسج الزرابي، أو صناعة الحلويات الشامية...والتشجيع على اقتناء منتجاتهن.

ويجب على الدولة المستضيفة التفكير في القوانين الناظمة لعمل النساء اللاجئات تفاديا للتعرض للاستغلال أو مماطلة أرباب العمل.

- ✓ إشراك أفراد المجتمع من أجل التكافل مع اللاجئين. وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم صنيع الأشعريين على تعاونهم وتكافلهم في الشدائد، فقال صلى الله عليه وسلم:« إنَّ الأشعريِّين إذا أرملوا في الغزو، أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثمَّ اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسَّويَّة، فهم منِّي، وأنا منهم.»[43] لذلك يجب أن يحرص الأهالي على تمثل هذه القيم وتعزيزها من خلال إحياء المناسبات الدينية المشتركة كالأعياد ورمضان(شراء كسوة العيد، إفطار الصائم...) وهنا تلعب الطرق الصوفية المنتشرة في تركيا دورا كبيرا في تقريب الهوة بين الشعبين وزيادة ارتباطهما روحيا من خلال حلقات الذكر وتعاليم الإسلام التي تهذب النفوس وتمتن الروابط.

---

[42] –أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الطلاق، باب اللعان، (رقم5304. 53/7) والترمذي في الجامع: أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة اليتيم وكفالته(رقم1918، 385/3)

[43] – أخرجه البخاري في الصحيح: كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض(رقم3،138/2489) ومسلم في الصحيح: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم(رقم4،1944/2500)

- ✓ توفير الرعاية الصحية للمرضى والجرحى والمصابين، وزيارتهم وتفقد أحوالهم. قال النبي صلى الله عليه وسلم:« مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»[44] والاهتمام بالمعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة.

خاتمة وأهم التوصيات

خلاصة القول إن الدين الإسلامي بعقائده وشرائعه وقيمه قمين أن يخفف من الأزمة النفسية التي يمر بها اللاجئ السوري ويضمد جراحه، وكفيل أن يوفر له عيشة كريمة في البلد المضيف، خاصة إذا كان هذا الأخير يتقاسم معه الدين نفسه والتاريخ والمشترك الإنساني بصفة عامة. وتبرز أهمية المؤسسات الدينية والخيرية في الدور الذي تقوم به دعوة وتبليغا وتحسيسا بمشكلة اللاجئ، فضلا عن الدعم النفسي والاجتماعي والتعليمي الذي تقوم به. بل إن المؤسسات الوقفية تعد موردا ماليا مهما في توفير العيش الكريم لهذه الفئة، لكن مع تزايد عدد اللاجئين تبقى الجهود التي تبذلها الدولة التركية وهذه المؤسسات قاصرة إذا لم يتفاعل معها المجتمع الدولي بشكل جدي. فاللاجئ مسؤولية الجميع وفق القوانين والاتفاقيات الدولية. كما يجب أن لا ننسى الفئة التي بقيت محاصرة داخل سوريا ولم يحالفها الحظ في الهجرة.

من هنا أقترح بعض التوصيات:

- ✓ وجوب تحمل دول العالم المسؤولية في التفكير في حل مشكلة اللاجئ السوري من جذورها بدل سياسة النعامة التي تنهجها كثير من الدول في خرق سافر لحقوق الإنسان.
- ✓ تصعيد الحملة الإعلامية لاستنفار دول العالم على مساعدة الدول المستضيفة للاجئين ماديا لأن الطاقة الاستيعابية لهذه الدول أصبحت تضعف مع كثرة النازحين واللاجئين. مع وجوب إصدار فتوى تدعو إلى تخصيص البلدان الإسلامية قسطا من أموال الزكوات والصدقات والأوقاف التابعة

[44] – أخرجه الترمذي في الجامع: أبواب الجنائز ، باب ما جاء في عيادة المريض(رقم969، 292/2)

لها، لإرسالها إلى الدول المستضيفة، ويمكنها تتبع عمليات صرفها لضمان الاستفادة منها بكل نزاهة وشفافية.

- ✓ فتح الدول –خاصة الخليجية– معابرها للاجئين بعد التأكد من هوياتهم من خلال وضع آليات وصفية تعرّف باللاجئ. وخلق جمعيات تهتم بأمورهم، مع تشجيع الأهالي على مد يد العون إلى هذه الفئة، فقضية اللاجئ قضية أمة إسلامية.
- ✓ التفكير في سبل منح الجنسية للاجئين السوريين في حال استمرار الوضع، وتعديل الوضع القانوني الرسمي لهم بما يضمن لهم الاندماج بالمجتمع المستضيف لهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

لائحة المصادر والراجع

- القرآن الكريم
- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا، حاضرها ومستقبلها، للدكتور أحمد نوري النعيمي، دار البشير، الأردن، سنة 1992
- صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، سنة1422ه
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- عارضة الأحوذي للقاضي ابن العربي المعافري، دار الكتب العلمية، بيروت
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، تحقيق بكري حياني- صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، سنة1401ه/1981م
- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الحسيني، دار الحرمين، القاهرة
- المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2تفسير ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، سنة1420ه/1999م